بمواقفه الاخيرة « وجه لنا ضربة حمقاء »(٨) بينما خرجت في المدينة الفرنسية مرسيليا مظاهرة قادها سفير اسرائيل الاسبق في فرنسا رافائيل جاري تحتج على سياسة ديستان وترفع شعارات معادية له تتهمه بالتواطؤ مع عرفات(٩).

ففرنسا بقيادة ديستان لم تكتف ــ على غير ما كان متوقعا ــ باتباع السياسة التي انتهجها ديجول وبومبيدو بعده ، بل انها تؤكد هذا الخط ، وتعمقه، وقد تأكد هذا في الفترة الاخيرة بواسطة ثلاث وقائع هامة : الاولى هي تصويت فرنسا بتأييد دعوة منظمة التحرير الفلسطينية لعرض قضيتها على الجمعية العامة للامم المتحدة والثانية: هي اجتماع جان سوفانيارج وزير خارجية فرنسا مع ياسر عرفات رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية : والثالثة هي التصريحات التي أدلى بها الرئيس جيسكار ديستان وأعلن فيها أن جوهر مشكلة الشرق الاوسط هو الاستجابة «للاماني الطبيعية» لشعب فلسطين بأن يكون له وطن(١٠).

ولكن هذه الوقائع الثلاث لم تكن الا امتدادا ، للخطوط الاساسية التي وضعها ديجول منذ ١٩٦٧(١١) في ضوء تفاعلها مع كل ظروف وواقع القضية الفلسطينية . فالاعتراف الفرنسي بشرعية المقاومة الفلسطينية ، والاقرار بحق الشعب الفلسطيني في أن يكون له وطن مستقل ، ليست مواقف طارئة ، ظهرت فجأة ، في سياسة فرنسا تجاه الصراع العربي ــ الاسرائيلي . ان لها مقدمات وسوابق مهدت لها ، وصاحبتها ظروف عديدة ساعدت في بلورتها على النحو الذي أعلنه المسؤولون الفرنسيون اخيرا.

وفي الحديث عن هذه المقدمات والسوابق ، يستحق أن يمهد له بالحديث عن جذور التغير في سياسة فرنسا تجاه الصراع العربي الاسرائيلي منذ صعود الرئيس ديجول الى الحكم في ١٩٥٨ ، والاسباب الرئيسية التي دفعت الى ذلك ، ويلي ذلك الحديث عن هذه المقدمات والسوابق ، لتخلص منه الى افاق السياسة الفرنسية واحتمالاتها في الفترة القادمة .

١٩٦٥ نقطة بداية

ركزت الكتابات السياسية العربية بصفة عامة،والكتابات الصحفية بصفة خاصة،في حديثها عن موقف فرنسا من العرب واسرائيل ، على الموقف « الحيادي » الذي اتخذته حكومة فرنسا تجاه العدوان الاسرائيلي في حزيران (يونيو) ١٩٦٧ ، وتجاه الاحداث المباشرة التي قادت اليه ــ أي سحب القوات الدولية من سيناء وغزة واغلاق خليج العقبة في وجه اسرائيل ــ والتطورات التي جاءت بعده . وتكاد هذه الكتابات تصور هذا الموقف وكأنه « حادث فجائي » أو نبت شيطاني ، نما في فراغ . وفي الحياة السياسة ــ وفي كل حياة اخرى ــ لا شيء ينبع من فراغ ، بل لكل شيء جذور وسوابق ، تقود اليه ، وتولده .

فعدوان ١٩٦٧ لعب دورا مساعدا في التعجيل ببلورة اتجاه فرنسي اكثر تقاربا من ومع العرب ، وأكثر ابتعادا عن اسرائيل ، ولكن ذلك العدوان لم يكن الدافع الوحيد لاتخاذ هذا الموقف(١٢).

فالخطوط العريضة للسياسة الفرنسية تجاه العرب واسرائيل بدأت تتحدد وتتضح فيما بعد استقلال الجزائر ، وزوال احد الاسباب الاساسية التي قادت الى سوء العلاقات العربية ــ الفرنسية ، بل والتي كانت أحد دوافع فرنسا الى المشاركة في